www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 15 شباط 2018

زيتون

العدد :172

محتج سوري أمام السفارة الروسية في اسطنبول لقصفها المدن السورية

بعد استهداف المشافي.. مديرية صحة إدلب تستعين بعيادات متنقلة

إحدى العيادات الطبية بريف إدلب - زيتون

بمحاولة منها لتلبية الاحتياجات الطبية الطارئة، وتعويض النقص الحاصل من خروج عدة مشاف ومراكز صحية في محافظة إدلب، دفعت مديرية صحة إدلب بالعيادات الصحية المتنقلة لتكون أولوية لها جراء الوضع الميداني الصعب الذي تشهده محافظة إدلب من تصعيد قوات النظام لقصفها على المدن ومرافقها الخدمية، ولا سيما الصحية منها.

خاص زيتون

فبعد أن كانت الغاية من العيادات الصحية المتنقلة هي تغطية الخدمات الصحية في المناطق التي تفتقر إلى تواجد مراكز صحية ثابتة، تم توجيهها اليوم إلى المدن التي خرجت مشافيها عن الخدمة، كمعرة النعمان وسراقب وكفرنبل، ومواكبة حركة النزوح الكثيفة التي شهدتها مناطق القصف وتقدم قوات النظام السوري، ومناطق توزع النازحين.

مديرية صحة إدلب أعلنت أن الغارات الجوية الروسية تسببت خلال الفترة من ٢٥ كانون الأول عام ٢٠١٧، ولغاية ٥ شباط ٢٠١٨، بتدمير أكثر من ١٥ مشفى ومركز صحي، حيث ضمت قائمة الاستهداف مشافي "السلام والوطني في معرة النعمان، والمشفى الجراحي في كفرنبل، ومشفى سرجة ومشفى عدي في سراقب"، إضافة لبنك دم سراقب، وأكثر من عشرة مراكز صحية منتشرة في منطقتي سراقب ومعرة النعمان.

المنسق العام للعيادات المتنقلة في مديرية الصحة بإدلب الطبيب "مصطفى مناع" أوضح لزيتون أن دور مديرية صحة إدلب يكمن بالتنسيق ما بين العيادات الطبية المتنقلة التابعة لعدة منظمات مختلفة، وتوجيهها إلى المناطق بحسب الحاجة والضرورة.

وتضم العيادات المتنقلة: طبيب عام وطبيب أطفال وطبيبة نسائية وكادر تمريضي وصيدلاني لصرف الأدوية، بالإضافة إلى قسم التغذية لمتابعة حالات سوء التغذية لدى الأطفال دون سن الخامسة، وتقديم المتممات الغذائية المناسبة لهم، وإخضاعهم لبرنامج غذائي متخصص.

كما ساعدت العيادات المتنقلة سابقاً في تجاوز نقص الكوادر الطبية، وإشكالات ضعف المشافي الميدانية العاملة، وقلة بعض الأدوية الطبية الضرورية للكثير من الأمراض المزمنة والأمراض المنتشرة بين الأطفال والنساء والشيوخ في المخيمات والقرى النائية، وذلك بسبب قلة التوعية الصحية.

وكانت العيادات الطبية المتنقلة قد انطلقت عبر مشروع مشترك بين منظمة أطباء عبر القارات PAC، واتحاد منظمات الرعاية والإغاثة الطبية UOSSM شمال سوريا، كاستجابة طارئة لحركة النزوح التي حدثت نتيجة القصف، والتي طالت مناطق عدة في أرياف حلب وحماة وإدلب، من أجل تقديم يد العون للنازحين، والمساهمة في تخفيف معاناتهم، والحد من تفشي الأمراض والأوبئة المعدية، وبدأ المشروع عبر تسيير (٦) عيادات طبية متنقلة على مساحة جغرافية واسعة في محافظتي إدلب وحلب، حيث غطت في عملها قرابة الـ ٤٠ قرية ومخيماً لجأ إليها النازحون.

مدير مشروع العيادات المتنقلة الطبيب "محمد مجد فحام" قال لزيتون: "انطلق المشروع في الأول من شهر تشرين الثاني من العام ٢٠١٥، حيث بلغ عدد المستفيدين من المشروع في الشهر الأول من انطلاقه أكثر من ١٢٠٠٠ مدني، بنسبة تقدر بـ ٨٥٪ منهم من النازحين".

واستطاعت العيادات المتنقلة تقديم خدمات أكثر تميزاً وتكاملاً، حتى من مراكز الرعاية الصحية الأولية الثابتة، مستفيدة من الشراكة المتميزة بين المنظمتين الممولتين للمشروع، ومسخرة خبراتها في هذا المجال لتقديم خدمات متكاملة من خلال الكوادر المدربة وخدمات الاستشارة الطبية والصحة النفسية والتغذية والعلاج الدوائي والتوعية المجتمعية، فضلاً عن نظام الإحالة.

كما أن هناك تعاون مع شبكة الإنذار المبكر والاستجابة للأوبئة Ewarn لمتابعة الحالات المرضية الوبائية المشتبه بها، والتي يتم رصدها من قبل أطباء العيادات المتنقلة أثناء عملهم في المناطق المذكورة آنفاً.

ومع تطور عمل العيادات ونجاح تجربتها، انضمت منظمات أخرى لمشاركة التجربة، وليصبح لكل منظمة عدد من العيادات المتنقلة التابعة لها حتى بلغ عدد العيادات المتنقلة ما يزيد عن الستين عيادة في محافظة إدلب.

وفي طريقة عملها، تتنقل العيادات الطبية عن طريق سيارات مجهزة بأجهزة طبية لازمة وخفيفة، إضافة إلى الصيدليات المتنقلة معها، وخيم للمعاينات المرضية السريرية، وأطباء من الجنسين، بغرض تقديم الرعاية الطبية للنساء والرجال على حد سواء.

ويرى منسق العلاقات الخارجية في مديرية صحة إدلب الطبيب "عبد الحكيم رمضان" أن نظام العيادات الصحية المتنقلة هو نظام مناسب للحالة الطارئة التي تمر بها محافظة إدلب، لما له من مرونة ونجاعة في الاستجابة لحاجات الأهالي والنازحين ولبعض المناطق ذات الوضع الخاص، كما لها القدرة لتقديم أية خدمة صحية ممكنة كلقاح الأطفال، خصوصاً بعد توفير عدد كبير منها وصل إلى ما يقارب ٦٠ عيادة متنقلة، مؤكداً عدم وجود أية مشاكل في القطاع الصحي من حيث توزع المراكز أو عددها في حال تم تحييد القصف عن المرافق الصحية.

إحدى المستفيدات من العيادات المتنقلة "أم أحمد" من أهالي ريف إدلب، قالت لزيتون:

"لا توجد في قريتنا مشافي أو أطباء أو حتى عيادات، إضافة إلى أن مسافة بعيدة تفصلنا عن أقرب مشفى، فضلاً عن مخاطر القصف العنيف الذي يمنعنا من الذهاب إلى مناطق أخرى للحصول على العلاج، حصلت في هذه العيادات على الرعاية اللازمة والأدوية لي".

وأوضح الطبيب فحام: "من خلال هذه التجربة الرائدة في الاستجابة السريعة للكوارث والأزمات، نرى ضرورة استمرارية التعاون وتوحيد الجهود بين المنظمات الفاعلة في الداخل السوري، لتكون أكثر فعالية وقدرة على تلبية الاحتياجات الملحة للنازحين وللناس الأكثر ضعفاً وفقراً في المناطق السورية".

في السياق ذاته اعتمدت مديرية صحة إدلب على نظام تحويل المرضى والمصابين ونقلهم من المناطق الساخنة والخارجة عن الخدمة إلى مراكز صحية رئيسية أكثر أمناً وتجهيزاً، وذلك ضمن خطة طموحة منها لتوسيع منظومة الإسعاف المركزية، ويعمل حالياً ضمن المنظومة ٢٩ سيارة إسعاف، وتسعى المديرية لرفع العدد إلى ٥٠ سيارة، لتخديم كامل المحافظة، وتركيز الخدمات الصحية في مراكز كبرى وتسهيل وصول المرضى إليها، وذلك بالتعاون مع بعض الشركاء.

وتتعرض العيادات المتنقلة في الآونة الأخيرة لزيادة الضغط عليها، نتيجة لموجة النزوح الهائلة من مناطق ريف إدلب الجنوبي والشرقي، والتي تزامنت مع فترة موسمية لانتشار بعض الأمراض، مع زيادة الطلب على المستهلكات الطبية والأدوية، الأمر الذي تسبب بوجود نقص فيها، إضافة إلى ما تتعرض له تلك العيادات مع الكوادر الطبية المرافقة لها من قصف جوي في المناطق الساخنة التي تتواجد بها.

نوايا لهيئة تحرير الشام بنقل محطة كهرباء سراقب يثير سخط الأهالي

لم يكف مدينة سراقب ما تعانيه من قصف وحشي تتعرض له بشكل يومي من قبل الطيران الحربي، وما عاشه أهلها من موت ونزوح، لتقوم هيئة تحرير الشام أمس بزيادة الضغط عليهم بقرار غير مفهوم.

وسادت حالة من السخط والغضب في بداية الشهر الحالي بين أهالي مدينة سراقب بعد انتشار أنباء عن قرار هيئة تحرير الشام بنقل محطة تحويل الكهرباء الخاصة بمدينة سراقب وريفها إلى مدينة إدلب.

وتداعى مجموعة من النشطاء والأهالي اليوم إلى المسارعة للوقوف في وجه عملية تفكيك المحطة في مظاهرة أمام المحطة، هددوا فيها كل من سيقوم بسلب المدينة من مؤسساتها ومنشأتها.

وقال أحد النشطاء لزيتون إن قرارا أبلغ للمؤسسات المختصة في المدينة من قبل هيئة تحرير الشام يقضي بفك ونقل المحطة إلى مدينة إدلب حرصا على سلامة المحطة من القصف الذي تشهده المدينة، وخوفا من سيطرة قوات النظام عليها في حال تقدمها.

وأطلق النشطاء هاشتاغ (محطة سراقب خط أحمر أمس) لتشكيل جبهة ضغط أمام قرار هيئة تحرير الشام ومنعها من تنفيذ قرارها، لاقى انتشارا كبيرا على وسائل التواصل الاجتماعي.

وتأتي هذه الخطوة من هيئة تحرير الشام في سياق منسجم مع سلوكياتها السابقة في سلب المحافظة بشكل عام ومدينة سراقب بشكل خاص من المؤسسات الخدمية، إذ قامت "الإدارة المدنية للخدمات" التابعة لهيئة تحرير الشام بشهر تشرين الأول من العام الماضي بالسيطرة على إدارة كلا من مديرية الأحوال الشخصية والمكتب العقاري والمياه ومديرية البريد والهاتف إضافة إلى سوق البطاطا ومكاتب الدور، لتحرم المدينة من مردود هذه المؤسسات.

يذكر أن المجلس المحلي في مدينة سراقب لم يوضح حتى الساعة موقفه من القرار ولم يصدر عنه أي بيان رسمي.

بيان مجهول المصدر يدعو المجلس الملحي للاستقالة والمحلي يرد

في السياق ذاته نشر بيان عبر صفحات التواصل الاجتماعي باسم نشطاء الثورة السورية في مدينة سراقب أشاد بدون الفعاليات المدنية والعسكرية منددا بدور المجلس المحلي وجاء فيه:

«نستهجن غياب المجلس المحلي بشكل نهائي ومغادرته المدينة متنصلا من واجباته ومسؤولياته في أشد لحظات حاجتنا لدوره، في مشهد مشابه لفرار البعض من جبهات القتال مع النظام في محاولة بائسة لتسليم المناطق المحررة إلى قوات النظام».

وأعلن البيان على لسان النشطاء الذين لم يسموا أنفسهم بسحب الشرعية من المجلس المحلي مطالبينه بتقديم استقالته فورا.

من جهته رد رئيس المجلس المحلي «مثنى المحمد» على البيان بمنشور على صفحته الشخصية قال فيه:

«إننا نرى في هذا البيان غياب نهائي للمصداقية وظلم للمجلس يتنافى مع مبادئ العدل والانصاف التي تتبناها أية ثورة، كما يخفي بين ثناياه تحاملا على المجلس سبق وحصل ببيان سابق يخص موضوع محطة الكهرباء، ونستغرب هذا التصرف في ظل هذه الحرب القذرة التي يتوجب أن تدفعنا للالتفاف حول بعضنا وليس التصيد بالماء العكر.

منذ بداية الهجمة الشرسة كنا موجودين بين أهلنا وإخوتنا، وقبل قصف المجلس بنصف ساعة كنا فيه، ومع اشتداد الحملة الشرسة وكما فعل عشرات الآلاف من أهالي المدينة أخرجت أسرتي من تحت نيران القصف وعدت لسراقب أتابع العمل الميداني فيها.

كنا على تواصل على مدار الأربع وعشرين ساعة مع كل الأطراف التي أثنى البيان على مواقفها وخاصة الدفاع المدني والإسعاف وهو ما يشهدون عليه.

بالنسبة للدفاع المدني فمنذ اللحظات الأولى فرغنا معهم الصهريج الكبير كإطفاء و«البوب كات» كما فرغنا «التركس والباكر» لإعمال التحصين.

أما بما يخص الإسعاف فنحن منذ بداية عملنا وحتى اليوم نقوم بالإشراف والصرف على سيارات منظومة إسعاف سراقب بما يخص المازوت والصيانة، وخلال فترة الحملة الأخيرة فقط قارب مصروف الأسعاف ال /٨٥٠٠٠٠/ ليرة سورية فقط تكفل بها المجلس.

كما كنا على تواصل مستمر مع كل القنوات الإعلامية المحلية والعالمية لوضعهم في واقع الأمر والوقوف على ما يجري وفضح أعمال النظام والاحتلال الروسي والإيراني».

هذا وكان المجلس المحلي لمدينة سراقب قد أصدر بيان بتاريخ ٨ شباط حمل شعار «محرقة بشرية بأدوات إقليمية ودولية» جاء فيه:

«لقد ذهل شرفاء العالم من هول جريمة استخدام السلاح الكيماوي ضد المدنيين المحاصرين في الغوطة الشرقية عام ٢٠١٣ والتي اكتفى العالم بمصادرة أداة الجريمة وترك الجلاد طليقا دون محاسبة، وهو ما أدى إلى إعادة استخدام هذه الهجمات في خان شيخون عام ٢٠١٧».

وأضاف البيان: «حيث لايزال نظام الأسد المجرم وحلفاؤه الروس والإيرانيون بصب نيران طائراتهم مخلفين أكبر محرقة بشرية لا تبقي ولا تذر على حي جوبر بدمشق والغوطة الشرقية من زملكا حتى دوما مرورا بعربين وحرستا وسقبا وحمورية؛ وعلى معرة النعمان وسراقب الحواضر التاريخية في ادلب وعلى ريف حلب وريف حماه».

وجاء في البيان: «فإننا نحن المجالس المحلية المدنية في سراقب وحي جوبر وعربين ودوما ومعرة النعمان وكافة المجالس المحلية والمدنية في المناطق المحررة على امتداد الارض السورية نتوجه إلى الأمة العربية والإسلامية والشعوب الأوربية والشعب الأميركي ومنظمات المجتمع المدني ومنظمات حقوق الإنسان في كل العالم للضغط على مجلس الامن ليتخلى عن نفاقه، بشقيه الروسي والصيني صاحبي الفيتو ، والأميركي والبريطاني والفرنسي الصامتين والممررين له طيلة سبع سنوات.وندعو جميع السوريين والعرب والمسلمين وكل الأحرار في العالم إلى التظاهر دعما ونصرة لقضيتنا العادلة المطالبة بالحرية والكرامة ضد كل المحتلين والمجرمين بحق شعبنا الأبي وندعو جميع المعنيين بإيقاف جميع خطوات الحل السياسي حتى تحقيق وقف شامل لإطلاق النار وإدخال المساعدات الطبية والإغاثية إلى جميع المناطق المحاصرة وإطلاق سراح المعتقلين».

الصورة.. المعايير الأخلاقية وموانع النشر

فريق زيتون

أشلاء وضحايا وأطفال في الوحل، وجوه بائسة، رجال يبكون، نساء صرعى، دماء، فوضى، سيل من الصور ليس لها آخر حتى تمج نفسك النظر إليها وتخرج من وسائل التواصل الاجتماعي وأنت تشعر بالغثيان.

أكثر ما يعلق في ذهنك ما سيقول والد الطفل حين سيرى صورة طفله محروقا وهو يحمله باكيا، كيف سيتجاوز أن أسوأ لحظة في حياته ستبقى خالدة على شبكات الأنترنت مدى الدهر، ربما سيشعر ببعض الحياء، ومن المؤكد أنه سيشعر بالكثير من الغضب والحنق على المصور، ومن المؤكد أيضا أنه لا يريد لصورة ابنه بعد أن شوهته النار أن تنشر.

الضحايا ليسوا سبقا صحفيا

الحديث هنا ليس عن إعلاميين هواة بل عن مؤسسات صحفية يفترض بها أن تكون منابر للمهنية، ومنها تصدر الضوابط والمحاذير في مراعاة الكرامة البشرية واحترام الجسد الإنساني، وربما أن ما استجد من فوضى الضخ الإعلامي الغير مسبوق، ومزاحمة المواطن الصحفي للمؤسسات الصحفية، وسرعة تقديم الخبر بحكم تواجده وحضوره في مكان الحدث، بينما تحاول الصحافة اللحاق به، دفعت بالكثير من تلك المؤسسات إلى الإطاحة بالكثير من ضوابطها المهنية إن لم تكن الأخلاقية، وعلى رأسها أخلاقيات الصورة.

اكتب على محرك البحث أي كلمة عن سوريا، وسيطفح عليك كما هائلا من القتلى والدم والمشردين واللاجئين في أوضاع مهينة ومذلة، ربما ستلاحق أصحابها إلى يوم الدين كدليل على ذلهم ذات يوم.

حين تكون تحت الأنقاض، أو تحاول أن تخرج ابنك من بين النيران، أو منهارا أمام موت عائلتك أو على حدود مغلقة بعد أيام من النزوح المتعب.. هل تحب أن يصورك أحد ما لتوضع صورتك على صفحات ما هب ودب، دون أن يكون لك رأي بذلك؟

في سوريا فقط، تهرع الكاميرا لترافق المصاب من تحت الركام، إلى سيارة الإسعاف، إلى المشفى، إلى لحظات الفجيعة والموت، وحتى الدفن والصلاة على الميت، دون أي مراعاة لكرامة الإنسان واحترام خصوصيته.

ويرى الكثير من المتابعين للحالة السورية أن الوقت قد حان كي نتوقف عن تصوير الناس في حالات لا نريد لأحد أن يصورنا بها، كما أن الوقت قد حان لكي نمتنع عن تصوير طفل في شقائه، لأننا لا نريد لأطفالنا أن يظهروا أشقياء أمام البشرية، فكّر كيف سيتلقى هذا الطفل صورته بعد أن تنشرها. عما تحمله الصورة من قيمة تاريخية وما يتبع تلك القيمة من خطورة يقول المصور السوري «عمار العبد ربه»: «بشار الأسد لن يدوم إلى الأبد لكن الصورة ستبقى إلى الأبد»، وهو ما يحمّل الناشرين مسؤولية كبرى في اختيار صورهم المنشورة.

المصور والناشط السوري «خليفة الخضر» يرى أن التطفل على المجال الصحفي هو ما تسبب بتلك الفوضى، مؤكدا أن مهنة الصحافة محكومة بقواعد أخلاقية، وما تقوم به بعض الجمعيات الخيرية والإغاثية يعود لسياسة هذه الجمعيات التي لا تلقي بالا لتلك القواعد والمعايير الإنسانية، ما خلق خلطا بين الصحافة كمهنة والنشاطات التي تنشرها بعض المنظمات والجمعيات وحتى الأفراد، بعدما استعانت الكثير من المؤسسات الصحفية بوسائل التواصل الاجتماعي في موادها.

ويضيف: «ضعف التدريب وانعدامه أحيانا لدى المصورين المراسلين، وانعدام الخبرة والاطلاع على المعايير، أوجد حالة من الانفلات المرئي، ونشر ما هب ودب نتيجة لعدم وجود رادع أو وازع، إضافة إلى حاجة تلك الوسائل لصور خاصة بها، دفعها لتجاوز أخلاقيات الصورة ضمن العمل الإعلامي، في حين أن أغلب التدريبات التي خضع لها المصورون الهواة اقتصرت على تقنيات التصوير والكاميرا، دون التطرق للشقّ الأخلاقي للصورة».

ويؤكد «الخضر» على أن الصورة قادرة على تأجيج خطاب الكراهية والصراع العنصري وتأجيج النزعات القومية والطائفية.

ما يدخل الصورة في حيز جدلي ما بين حق الناس في المعرفة وحق المجتمعات في حماية ذاتها، الأمر الذي يضع المؤسسات الإعلامية في موقع الحكم، وتقدير مدى الضرر والفائدة من نشر الصور.

حقوق الصورة

يرى البعض أن للانسان الحق فيما يتعلق بصورته أو الاعتراض عليها سواء بنشرها أو التعديل عليها أو حذفها، وما يجري من التقاط الصور للسوريين بكل شرائحهم وأعمارهم وحالاتهم وخصوصا الأطفال واللاجئين والضحايا، وهم الشرائح التي تعجز عن الرفض والاعتراض ولا سيما حين ترتكز الصورة على الجانب المأساوي في حياتهم.

كما يرى البعض أن كل صور الضحايا بما تحتويه من انكسار وهوان وضعف هي انتهاك لكرامة الإنسان، إلا في الحالات الضيقة التي تكون فيها الصورة بهدف التوثيق أو اثبات جناية قد يكون نفعها لا يقارن بضررها كاستهداف المدنيين بالغازات السامة وتقديم تلك الأدلة للمحاكم الدولية، أو تصوير الجثث مجهولة الهوية، شرط أن تبقى في إطارها المحدد والضيق دون نشرها بطريقة مشاعية.

ورغم أن تمويه الصورة قد يخفف من حدة انتهاكها إلا أن الضرر الذي تسببه تلك الصور لأصحابها الضحايا فيما بعد لا يزول بعملية التمويه، وهو ما يبقي الصورة المموهة في إطار عدم شرعيتها.

ويرى أحد المصوريين المحترفين أن المعيار في شرعية الصورة هي في أن يضع المصور نفسه مكان الضحية موضوع الصورة ليكون قادراً على الإحساس بالشخص المصور، وليتأكد من أن الصورة لا تمس بكرامته أو أن لها جوانب مذلة أو مهينة.

وفي جانب من جوانب انتهاك النظام السوري لحقوق السوريين بث التلفزيون السوري في إحدى برامجه كيف كانت المذيعة تقوم بلقاء المصابين في إحدى المقابر وهم ينازعون الموت من بينهم نساء وأطفال متروكين لجراحهم وأثار الطلقات النارية واضحة عليهم بينما تقوم المذيعة بسؤالهم عمن أطلق النار عليهم.

في حين تمادى بعض الناشطين المعارضين للنظام السوري في تغطيتهم الأخبارية للحديث مع الضحايا العالقين تحت الركام دون اعتبار كبير لخصوصية الضحايا.

«عمار عبد ربه» مصور سوري محترف يقول في إحدى لقاءاته أن أكثر ما يحرص عليه حين وصوله إلى أماكن القص فهو مشاعر الأهالي خوفا من القيام بتصرف يسيء إلى مشاعرهم.

فيما كتب علاء قمحاوي بموقع الصوت الحر: «بعد عدة أشهر تبادلت المكان مع الضحايا هذه المرة، وشعرت بشعور أهالي وأصحاب القتلى الذين تُنشر صورهم، وذلك بعدما تم نشر صور أصدقائي اللذين ماتوا من العاصفة الثلجية فى سانت كاثرين. شعرت بغضب شديد تجاه وسيلة الإعلام التي نشرت هذه الصور، خاصة وأنه لا يوجد أي شئ يمكن أن يضيفه نشر الصور.

الآن "أظن" أني أرى الصورة الكاملة من أغلب الزوايا، ربما يساعدني هذا على تقييم المواقف كل على حدة لإيجاد إجابة متجددة ومتغيرة لسؤال: "هل يصح التقاط هذه الصورة وهل يصح نشرها؟" ولكن ستظل الصعوبة قائمة دائما عند لحظة قياس مدى أهمية ما تنقله وتضيفه الصورة مقابل ما ستتسبب به من ألم».

عن ماهية الصورة وضوابطها

إياد جرود

الصورة لحظة التقاط لا تدوم أجزاء من الثانية، يتوقف فيها الكون لأن أمراً ما يجب أن يحكى عنه، لأن شيئاً ما يجب أن ننتبه إليه.

هي تعمّق في التفاصيل الصغيرة الهامشيّة التي تواجه الانسان آلاف المرات خلال مسيرة حياته دون أن يعيرها أيّ انتباه، لكن عندما تتحول إلى صورة ساكنة تصبح صرخة تستوقف الجميع وتفتح فضاءً جديداً للتفكير.

الأطفال كمصدر للأمل، الفرح والغصّة في بعض الأحيان، الطبيعة وإحساسها بما يدور على هذه الأرض، وأيضاً التناقضات اللامتناهية التي نختبرها يوميّاً (الصمت والكلام، الهدوء والضجيج، الفرح والحزن، النشاط والخمول، الموت والحياة).

الصّورة لحظة تغييب للمحيط الخارجي وحصر التفكير والرؤية بما يتضمّنه كادر الكاميرا فقط، محاولة لخلق حياة أو هروب من أُخرى، وهذا ما يظهر جليّاً من خلال كادر الكاميرا وذلك بإظهار بعض التفاصيل وإخفاء سواها.

الصّورة بكل بساطة هي لحظة الحريّة المطلقة والتي تلعب فيها الأحاسيس دور الثائر، لذلك فإن عالم الصورة ليس بعالم آخر إنّما هو جزء من تكوين المصوّر ومن ذاكرته الماضية والمستقبليّة، كما أن الصورة ذاكرة ونتاج مراحل متعددّة، وغالباً ما تكون الصّورة أكثر قدرة على التعبير من الفيديو، وذلك لثبات اللحظة في الصورة الفوتوغرافية وفتح مجال أوسع للتركيز.

ليس المصوّر ولا العدسة من يلتقط الصّورة، إنه الإحساس بتلك اللحظة والشعور الصادق الذي يغلب على ملامحها، من هنا ندرك بأن الصّورة ما هي إلّا انعكاس لشعورنا وإحساسنا بالآخر، ووسيلة للتعبير عن ألمنا، فرحنا وقسوتنا.

وسيلة تختلف من شخص لآخر بحسب درجة انتمائه للصّورة، هذا الانتماء الذي يفقد جوهره عندما يفقد المصوّر حريته، عندها لن يستطيع امتلاك لوحة فوتوغرافية ذات معنىً حقيقيّ، ولن يغدو جزء منها.

لن نستطيع امتلاك صورة ذات معنى مالم نكن جزءاً منها ولن تصنع الكاميرا صورة جميلة ما لم تصنعها عيننا أولاً. بالمقابل، قد لا تكون محترفاً على صعيد جودة الصّورة أو جمالها ولكن تكفي محاولتك لتكون محترفاً على صعيد امتلاك فكرتك الخاّصة ووضعها في متناول الجميع، لتكون على الأقل ذاكرة بعيدة في مخيلتهم وتكون فكرتهم في لحظات لاحقة وربّما يصنعون منها إبداعاً.

والصورة بهذا المعنى هي رحلة بحث عن الذات والتكوين نخلق فيها الصور كي تخلقنا.

ماذا نصور؟

لازلت أبحث وأناقش عن السبب والدافع وراء التقاطنا للصور، ولأي مدى نحن محقون وصادقون في التقاطنا لها، وهل نحترم حقاً حرمة كل من التقطنا لهم صوراً، وهل وصلنا بصورهم إلى منابر من شأنها أن تكون عزاء لنا في رسالة مفترضة كانت ذريعتنا لالتقاط هذه الصورة.

تتشابه الصورة والمقال في أن كل منها وسيلة للتعبير عن فكرة ولكن بطريقة مختلفة ولكن المقال قد يكون أقل ملامسة لخصوصية أي شخص آخر.

هل حقيقة امتلكنا الجرأة لنسأل من قمنا بتصويرهم هل تسمحون لنا بالتقاط صورة لكم، اعتقد أن هذا السؤال لم يغب عنا في كل صورة التقطناها، ولكن دائماً ما كنا نتجاوزه خشية الرفض أو حتى الموافقة وضياع اللحظة العفوية، التي من شأنها أن تغني موضوع صورتنا وتجعلها أكثر قوة في عالم الصور.

أقف عاجزاً أمام صوري متأملاً وجوه من صورتهم خلسة، هل التقطت لهم صوراً جميلة في حال رأوها؟، في يوم ما سيكونون قادرين على مسامحتي لالتقاط هذه الصورة لهم دون إذن أو إشعار.

لماذا لم نعرض عليهم صورهم بعد التقاطها؟، حتى الضحية كيف كان لنا أن نسألها بعد موتها؟ هل تقبل أن ننشر صورتك بشكلها المشوه؟.

هل تركوا وصاياهم بصورة، كما يترك البعض وصاياه بأعضائه كتبرع؟، لازالت هذه الأسئلة تحفر في كل التقاط، إلى أين سنصل بصورنا؟ ماهي المنابر التي نعول عليها لتكون منارة لرسائلنا وتحترم هذه الجدلية التي نتحدث عنها؟. من له الحق بامتلاك صورتي وموضوعها.

تصوير الطفل الذي لا يمتلك القدرة على الرفض

عندما نصور شخصاً بالغاً يستطيع الرفض ويطالبنا بمحو هذه الصورة إن لم تعجبه، أو بإعادة تصويره للوصول إلى صورة أخرى أفضل، ولكن الطفل لم يمتلك بعد هذه القدرة على الرفض ولربما هذا ما نعول عليه في تقدمنا لالتقاط الصور لهم حقهم في صورهم، فكل صورة تجني لملتقطها شيء ما، ولكن هذه الصورة لم تكن لتكون لولا الطفل والذي يشكل الموضوع والمكون الأساسي فيها وبالتالي له كامل الحق في المطالبة بحقوقه في صورته.

حين يعبر الصغار عن مشاعرهم بطريقتهم

تختلف طرق التعبير لدى الأطفال عما يمكن أن يفهمه الكبار أو يفكروا فيه، تأتي تلك الطرق الغريبة نتيجة لحساسية دخيلتهم وصفاء مشاعرهم، ولقدرتهم على التقاط الحالات النفسية المبهمة على فهمهم وإدراكهم، لكنها تؤثر عليهم بشكل مباشر وعميق كلما ازدادت تلك الأجواء غموضاً دون توضيح وشرح ممن يثقون بهم.

وبرصد بعض الحالات اللافتة لتعبيرات غريبة ومؤثرة من الأطفال، سيفهم البالغون بأي طريقة يفكر الأطفال وكيف ينظرون إلى الحياة بشكل مختلف كلياً عن مفاهيم الكبار، الذين قد تفوتهم مقدرات البراءة والمشاغبة والجمال.

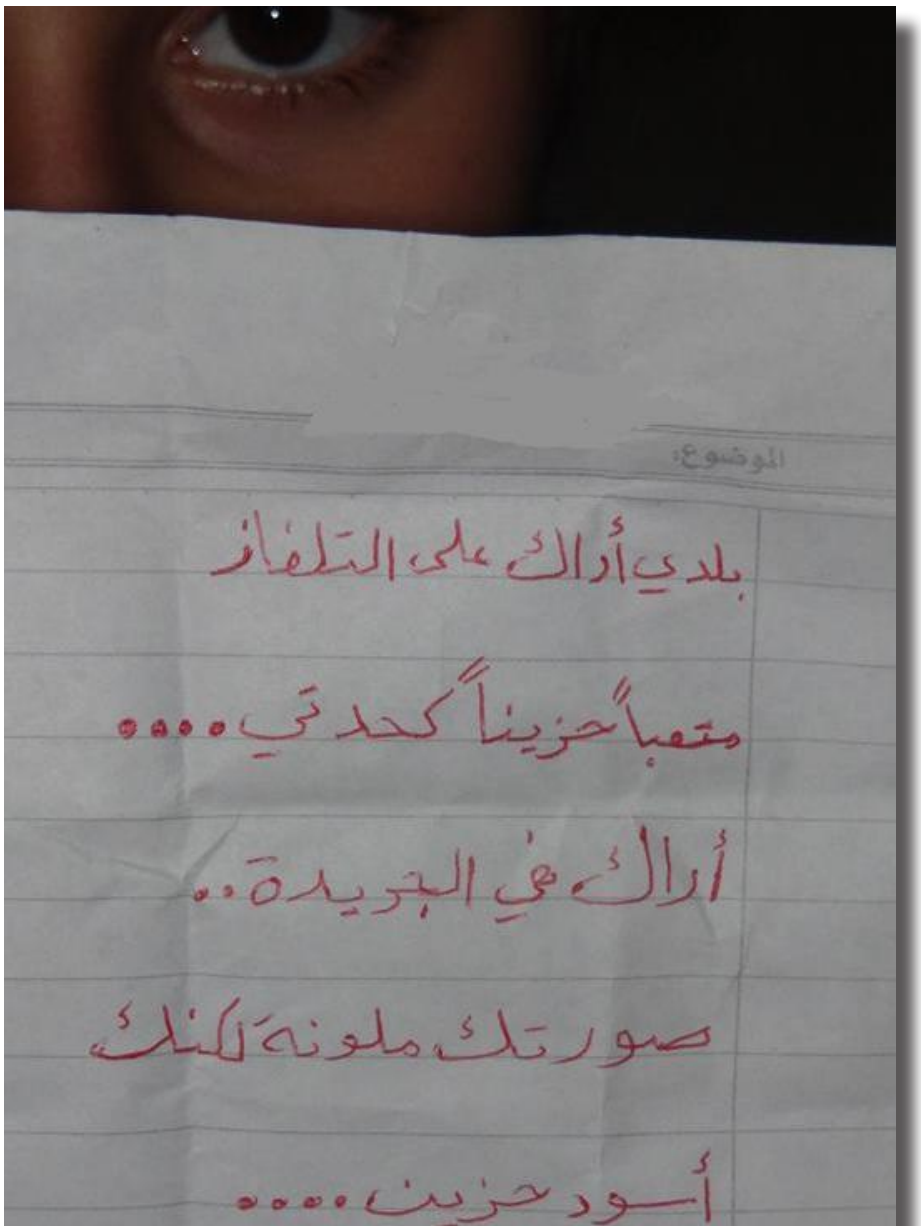

وعد البلخي

من الآن فصاعداً سأخبرك بكل شيء هنا

انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي، صورةٌ تظهر طفلاً في الصف الخامس الابتدائي، كتب على شاهدة قبر والده، نتيجته في المدرسة، وتحتها "من الآن فصاعداً سأخبرك بكل شيءٍ هنا".

ربما رأى ذلك الطفل السوري أن شواهد قبور الشهداء في سوريا، هي الوحيدة القادرة على جمع تاريخ سوريا وروايتها، كما رأى بأن كتابته لوالده على شاهدة قبره ستجعله حياً دائماً و إلى جانبه، شأنه في ذلك الحلم شأن كل الأطفال السوريين الذين لا يحلمون بأكثر من الأمان وحنان العائلة.

يا نجمة الصبح

بعد أن فقد أخيه، أصبح دائم الاستماع إلى أغنية تقول كلماتها: "يا نجمة الصبح فوق الشام عليتي، الأجواد أخذتي والأنذال خليتي"، ربما لم يجد أصدق وأبرأ من ذلك التعبير.

قيس الذي لم يكن عمره يتجاوز الأربعة أعوام، على براءته وجد في تلك الكلمات تعبيراً نادراً ما يجده الأطفال عما يجول في خاطرهم، وعما يشعر به في قلبه الصغير من ألم، فأصبح يطلب من والدته بشكلٍ متكرر أن تسمعه تلك الأغنيةً، وكأنه يحاول أن يوصل إليها الرسالة.

حفظ قيس من الأغنية تلك العبارة التي راح يكررها كلما سمع حديثاً عن الثورة أو الشهداء أو التقى بأناسٍ جدد، وكأنه يريد أن يخبر العالم كله بما في داخله.

"الجواد أخذتي والأنذال خليتي" قد تكون هذه الكلمات التي من الممكن أن يكون قد تلقفها من جدته هي ما سينطلق منها قيس إلى الحياة، مدركاً عدم عدالتها، بفهمٍ مبكر لظلمها، ستحفر عميقاً في وجدانه، وهو يرى القاتل منتصراً، بينما صاحب الحق تحت التراب.

بابا مسافر

رفض ذلك الطفل أن يكون الطفل اليتيم، هذه التسمية التي كان قد دأب على سماعها منذ أعوام، والتي تفرض على أحدهم أو إحداهن قبلة إجبارية أو لمسة أو ابتسامة أو شيئا رمزيا جدا، ويفرض على أطفال في عمره اللعب معه رغما عنهم ولو لدقائق تترافق مع نظرة بالتأكيد لم يكن يعرف بأنها تدعى الشفقة.

كما رفض أن يكون أقل من زملائه الذين يجلب لهم آباؤهم ما يحتاجونه أو ما يرونه يسعدهم، ويأتون لاصطحاب زملائه من المدرسة وفي العطلة وفي الرحلات والنزهات، فلم يكن منه إلا أن تخلص من كل ما سبق عبر استغلاله معلومة سمعها من والدته في أحد الأيام عن والده، وهي سفره إلى إحدى الدول العربية في وقت من الأوقات، فعاد إليها ينبش في جذورها وبياناتها ربما لتكون كذبة بيضاء أو ربما حتى لا يلحظها أحد وتصبح كذبة ويقع في الإحراج الذي كذب كي يتجنبه.

وكلما سأل الولد أمه، كانت تجيبه بعفوية ربما كانت هذه المرة تفوق عفويته وتتجاوز براءته، ولم يكن يخيل إلى تلك الأم أن طفلها ابن السبعة أعوام، أنه يسحب منها تلك المعلومات ليستغلها في كذبة، بابا مسافر، خصوصا أنه لم يكن يكذب.

وبالصدفة جاء أحد أصدقائه في الحي برفقة جدته لزيارة منزل ذلك الطفل والتعرف إلى أهله، وانكشفت الكذبة، ولكن ما أدهش الجميع أنه لم يكن وحده من يكذب فقد كان صديقه ايضا يكذب وربما للأسباب ذاتها، وربما كان الكثير الكثير من أطفال سوريا الذين تؤلمهم النظرات حتى قبل أن يعرفوا معناها.

ربما كانت هذه الطريقة من الإنكار للواقع والابتعاد عن الأمور المؤلمة، إحدى وسائل المعالجة الذاتية التي يتخذها أطفال سوريا، ليعالجوا أنفسهم دون الرجوع أو الاستعانة بأحد ممن حولهم مهما كانت درجة قربهم أو قرابتهم.

قديش عمر بابا؟

من النظرة السطحية للسؤال، يرى المتلقي أن السؤال أقل من عاديٍّ وليس عادياً فحسب، ولكن عندما يعلم أنه جاء من طفل لا يتجاوز الثامنة من عمره، فقد والده قبل بضعة أعوام، يريد منه معرفة العمر المناسب للموت، يدرك مدى النظرة العميقة لذلك الطفل، وربما لأطفال سوريا بشكلٍ عام.

ربما جاء السؤال نتيجة ردّ خاطئ من الأم، لكنه كان عفوياً جداً وسريعاً ونتيجة لحجم الضغط الذي مورس عليها آنذاك، ردّت به ضمن حديث دار بينها وبين ابنها الذي كان حزيناً لعدم وجود والده معهم، متمنياً وجوده، ومتسائلاً عن سبب رحيله، فكانت سلسلة من الأسئلة كلما ظنّت الأم أنها تمكنت من الخلاص بسلام من أحدها وحاولت التوقف عند هذا الحد، انهالت البقية دون أن تعرف على أيّ سؤال منها سترد وكيف من الممكن لها أن ترد عليها بما يتناسب وعمر ابنها ومستوى استيعابه لقوانين الطبيعة البشرية ودون كذبٍ أو تشويش أو خلق لأسئلةٍ جديدة يصعبً عليها تلك الموازنات في كل إجابة منها.

بدي نروح على بيتنا عالسما لعند بابا

"بدي بابا.. وين راح بابا؟".. هو سؤال اعتادت عليه الأمهات السوريات في السنوات الأخيرة من معظم أطفال سوريا، تماماً كما اعتاد الأطفال على إجابة اتفقت عليها الأمهات دون أن تتفق، والتي قابلتها أسئلة وردود أكبر أعلنت تلك الأمهات عجزها أمامها، أبرزها «بدي روح على بيتنا عالسما لعند بابا»، حيث يدرك هؤلاء الأطفال بفطرتهم أن منازلهم حيث يقطن آباؤهم، وأن لا أمان ولا عائلة دون أب.

قبس

طفلة سورية تبلغ من العمر ثمان سنوات، حرمتها الحدود والإجراءات من والدها قرابة الثلاثة أعوام، وعندما وصل والدها إليها أخيراً، لم تعرف كيف تعبر للعالم عن مدى سعادتها وإحساسها بالأمان بوجوده بقربها، فلم يكن منها إلا أن بدأت بالإعلان عنهما على الملأ، حيث بدأت تستوقف كل شخص تراه في طريقها إلى مدرستها، سواءً أكانت تعرفه مسبقاً أم لا، بالإضافة إلى زملائها ومعلمي مدرستها وإدارتها، وتخبرهم بالقصة كاملةً، وتقول لهم أن والدها سيبقى عندها ولن يتركها مجدداً بعد غيابه عنها قرابة ٣ سنوات.

وكانت فعلت الشيء ذاته مع أصحاب الأرقام الموجودة على هاتف والدتها، الذي أخذته منها خلسةً، أثناء انشغال والدتها بالتحضير لاستقبال زوجها.

بدي احكي مع بابا اشتقتلو

كان كلما أمسك هاتفاً يبحث فيه عن صورة والده التي وضعتها أمه كصورةٍ شخصية لكافة برامج التواصل الاجتماعي، فيتنقل من برنامج إلى آخر، يتصل حيناً ويتركً تسجيلاً صوتياً أحياناً أخرى، على أمل أن يجيبه والده الذي استشهد قبل بضعة أعوام.

وعندما لا يجد رداً يحزن كثيراً، ويذهب إلى أمه والهاتف بين يديه ليطلب منها الاتصال بوالده، ولكن كيف لأم أن تشرح لطفلٍ في الرابعة أمور التكنولوجيا الحديثة وطبيعة الحياة في آن واحد.

ومر أكثر من عامين ونصف ولا تزال الأم تعجز عن الشرح لطفلها الصغير الذي لا ينفك عن طلبه.

بابا ما مات بابا استشهد

"بابا ما مات.. بابا استشهد".. كانت تلك الصرخة التي نطق بها ابن الخامسة، عندما وصل نبأ استشهاد والده، والتي جعلت كل الموجودين ينشغلون عن الخبر ليعلموا كيف يميز ابن الخمسة أعوام، ما بين معنى الموت ومعنى الشهادة؟.. وهل حقاً كان يميز بينهما حتى غضب كل ذلك الغضب عندما سمعهم يقولون عن والده بأنه مات بدلاً من استشهد؟، أم أن سوريا جعلت من أطفالها رجالاً وعلمتهم الفروقات بين أمور كثيرة على صغر أعمارهم.

كيفية تنمية مهارات التعبير عند الطفل الخائف

ينصح الاختصاصيون بتركيز الوالدين على تعليم الطفل الخائف كيفية التعبير بشكل صحيح ودقيق عن مشاعره ومن ثم مخاوفه إذ سيساعد ذلك في التعرف بشكل سليم على ما يعاني منه الطفل، فالأطفال يستخدمون تعبير الحزن عندما يقصدون القلق أو الخوف بينما يبحث الأهل عما يحزن طفلهم الذي يعاني من مخاوف لا يستطيع التعبير عنها.

نمذجة التعبيرات الشعورية

من الوسائل المفيدة لتعليم الطفل المتوتر كيفية التعبير الدقيق عن مخاوفه هو نمذجة التعبيرات الشعورية للطفل والمقصود استخدام نماذج كلمات معينة للتعبير عن مشاعر محددة في مواقف واضحة هذه الكلمات تكون قوية ومحددة وتعكس حقيقة المشاعر مثل الإحباط والخوف والانزعاج والضيق، ويمكن استخدام جمل واضحة لتوصيل المعنى مثل "أنا في غاية الإحباط لأني حاولت إصلاح اللعبة مرارا لكنها لا تعمل مجددا".

ربط المشاعر بالكلمات

تتقلص الحصيلة اللغوية عند الطفل حين يغضب أو يشعر بالضيق فلا يجد الطفل في عقله كلمات تعبر عما يشعر به فيلجا الى وسائل أخرى كالبكاء والصراخ لشرح موقفه وتعويض عجزه عن التعبير بلغة مفهومة، وعليه فان من المهم تعويد الطفل على ربط مشاعره بكلمات تعبيرية محددة كان يقال له: "أنت غاضب أنت غاضب لأنك تريد الحلوى الأن وأنا لن أعطيك إياها"، مثل هذه الجمل البسيطة تنمي عند الطفل ملكة تحويل مشاعره الغير المنظورة الى كلمات مسموعة يستطيع الوالدان تفهمها والتعامل معها.

ملاحظة مشاعر الآخرين

التعليم بالملاحظة والذي يمكن استخدامه بشكل كبير في تنمية مهارات التعبير عند الطفل المتوتر وذلك بملاحظة ورصد التعبيرات الشعورية القوية التي يظهرها الآخرون فإذا شاهد طفلة تبكي فيجب التعليق له بشكل سريع هل ترى هذه الطفلة الصغيرة أنها تبكي لا بد أنها حزينة أتساءل ما الذي يحزنها.

لحظات المكاشفة

من الوسائل المهمة للتعبير أفراد مساحة له للحديث عن نفسه داخل بيئة متفهمة مثل بيئة الأسرة في اللحظات الدافئة مثل أوقات تناول الطعام أو الذهاب الى النوم

لعبة التخمين

لعبة تخمين المشاعر يمكن أن يقوم بها الأهل مع أطفالهم وتقوم الفكرة على أن يتقمص الأهل تعبيرا معينا يدل على الغضب أو الدهشة أو الفرح أو الحزن ويطلب من الطفل أن يخمن هذا الشعور وان يعبر عنه بالكلمات ثم يتم تبادل الأدوار.

قراءة الكتب ومشاهدة البرامج وتحميل التطبيقات

يمكن الاستعانة بالوسائل التعليمية مثل الكتب والبرامج التلفزيونية وتطبيقات الهاتف الحديثة التي تساعد بشكل كبير في تعليم الطفل اكتشاف التعبيرات الإنسانية والربط بينها وبين الكلمات المعبرة.

مراعاة الظروف الخاصة التي مروا بها

قد يعطى الطفل المصاب بالخوف امتيازات خاصة نتيجة لما تركت به أسباب الخوف من آثار في نفسه، وينصح بعدم الضغط عليه في الأمور التي يمكن تجاوزها كعدم رغبته بالذهاب إلى المدرسة أحيانا.

إن ما يقوم الطفل به من بعض التصرفات العدوانية والمزعجة كالصراخ والعصبية المفرطة ناتج عن فراغ وقلق نفسي، قد يكون سببه خسارة أحد الوالدين، أو تعرضه لمشاهد عنيفة تدفعه إلى محاولته لجذب الانتباه له، وإيمانه بأهميته.

هذه الصدمات ليس بالضرورة أن تزول مع الأيام، لكن جل ما يمكن القيام به هو التخفيف من حدتها، ودفعه إلى بناء شخصيته بعيدا عنها.

يقول علماء النفس أن الشخصية البشرية تتشكل في وقت مبكر من الطفولة، وفي السنوات الأولى للطفل تترسخ أولى العقد لديه التي يبني الطفل شخصيته عليها، وهو ما يجعل من تلك السنوات أخطر سنوات التكوين عند الطفل، ومعظمنا تثبتت شخصيته بناء على ما تم اكتسابه في تلك السنوات.

وبالتالي فإن مطالبة الطفل بتجاوز صدماته بسرعة أمر غير مجدي بل ولربما كان مضر بالطفل ما يتوجب على الأهل مراعاة رغباته قدر الأمكان.

حوار حول الإسعافات الأولية للوقاية من النابالم والكلور

ياسمين جاني

على مدى السبع سنوات الماضية تعرف السوريون على شتى أنواع الأسلحة، ومع اشتداد حدة المعارك بدأت تتطور الأسلحة المستخدمة ضد المدنيين وتزداد قوة وتدميرا وفتكا، فمن الصواريخ الفراغية إلى الارتجاجية مرورا بالقنابل العنقودية والبراميل المتفجرة وصولا إلى النابالم ثم الكلور وأخيرا الغازات السامة والكيماوي والسارين، هذه الأسلحة التي استخدمتها قوات النظام وروسيا في محاولة منهما لاستعادة السيطرة على زمام الأمور، فضلا عن جعل المدن السورية مسرحا لتجريب أسلحة روسيا الجديدة واختبار جاهزيتها بحجة مكافحة الإرهاب.

قنابل النابالم الحارقة: هي عبارة عن قنابل حارقة فتاكة، محرمة دولياً، يدخل في تركيبها الفوسفور، لها قابلية عالية للاشتعال، وقوتها التفجيرية هائلة جداً، وذلك لما تحدثه من دخان كثيف وسحابة سوداء كبيرة.

وعن أولى الإجراءات التي يجب اتباعها للتخفيف من حدّة الإصابة من قنابل النابالم قال المدير الطبي في مشفى جسر الشغور الطبيب "عبد الرحمن السلوم" لزيتون: يجب بالدرجة الأولى الابتعاد عن مكان الانفجار وتجنب استنشاق الغازات الصادرة عنها، كما على المصاب عدم الركض في الهواء، لأن ذلك يؤدي إلى زيادة الاشتعال، والعمل على منع وصول الهواء إلى المصاب عن طريق وضع أي قطعة قماش مكان الإصابة.

وأضاف "السلوم": "يسبب النابالم حروقاً شديدة، تعتبر من أشد أنواع الحروق، إذ سرعان ما يدمر الأنسجة العضلية ويصل إلى العظم نظراً لكونه سائل هلامي يلتصق بالجلد مباشرة، وذلك على خلاف الحروق الأخرى، والتي تختلف أضرارها بحسب درجتها".

وعلى العكس من النابالم فإن غاز الكلور غير قابل للاشتعال، إلا أنه غاز سام، يشبه في تأثيره المبيدات الحشرية، ولكن بشكل أقوى وأخطر، ينتقل عن طريق التنفس والجلد وتناول المياه والأطعمة الملوثة بالمادة، يؤثر على الجهاز التنفسي في حال استنشاق الغاز، فيُحدث حالات اختناق لدى المصابين، وقد تؤدي إلى الوفاة، كما يسبب تقرحات جلدية إذا لامس السائل منه جسم المصاب، ومن أعراض الاصابة بغاز الكلور ضيق في التنفس، واحمرار في العينين، مع سيلان الدمع واللعاب، وقد يؤدي في بعض الأحيان إلى حدوث اختلاجات، بحسب المدير الطبي لمشفى جسر الشغور.

خطوات وإجراءات الوقاية من غاز الكلور

يؤكد "السلوم" على أن أهم الخطوات التي يجب اتباعها لدى استهداف المنطقة بغاز الكلور هي في الخروج من المنطقة المصابة والإبتعاد عن مكان الاستهداف، أو الصعود إلى الأماكن العالية في حال عدم التمكن من الخروج من المنطقة، وذلك بسبب ثقل الغازات بشكل عام ومن بينها غاز الكلور الذي يزيد وزنه عن وزن الهواء بمرتين ونصف.

استعمال الكمامات الواقية من الغازات في حال توفرها أمر ضروري، لكن في حال عدم وجودها تستبدل بقطع القماش المبلل بماء فاتر مع طبقة من الملح والفحم الذي يمكن أن ينقي الهواء من الغازات إلى حد ما، وتجنب الخروج من البيت قبل مرور ساعتين على الاستهداف.

الإسعافات الأولية للمصاب بغاز الكلور

خبرة المسعف وإلمامه بعمله يوفر الكثير من الأرواح التي يمكن أن تزهق في حال لم يتوفر الإسعاف المناسب، كما يمكن أن يتضرر المسعف نتيجة لقلة خبرته وكيفية التصرف بسرعة، وهو ما يحتم عليه الإلمام بالمعلومات التي تمكنه من تشخيص سبب الإصابات وطرق حماية نفسه وحماية المصابين منها.

ويرى "السلوم" أن على المسعفين المتواجدين في مكان الاستهداف بالغازات السامة ارتداء الكمامات الخاصة بالغازات أو ما يوازيها تجنبا لإصابته، إضافة إلى ارتداء ثياب عازلة وكتيمة منها القفازات البلاستيكية، ومن ثم البدء بتطهير وإزالة التلوث من محيط المصابين وذلك بنزع الثياب عن المصابين ووضعها في أكياس محكمة الإغلاق، ثم غسل المصابين بالماء جيدا لمدة عشر دقائق دون تدليك، كما يبدأ العلاج الطبي بعد ذلك بتأمين طريق هوائي واعطائه الأكسجين بتركيز عال مع سحب المفرزات.

وتختلف الإجراءات فيما بعد باختلاف حدة الإصابة بين مصاب وآخر، حيث يجب إجراء الإرذاذ بالفينتولين للمرضى الواعيين في ضربات الكلور، وإعطاء الهيدروكورتيزون في ضربات الكلور أيضاً، وإعطاء الأتروبين عند الشك بالإصابة بغاز السارين.

الإسعافات الأولية للمصابين بالشظايا والجروح البليغة

تختلف الإجراءات الإسعافية بحسب طبيعة الإصابة بالقذائف أو الشظايا أو الجروح البليغة، إلا أن الإجراء الأساسي الموحد في الحالات الثلاث، هو فتح وريد للمصاب لتسريب الأدوية اللازمة من خلاله.

وفي حالة الإصابة بالشظايا، يجب على المسعف إجراء مس مستبطن، للتأكد من وجود شظايا داخل الجرح والعمل على إخراجها إن وُجدت، ليتم بعدها تضميد الجرح.

أما عند الإصابة بجروح بليغة وحدوث نزيف خارجي، فالإجراء الأول والأهم الذي يجب على المسعف القيام به، هو العمل على قطع النزيف، في حين يتوجب إجراء صورة شعاعية للمصاب، لتحديد نوعية الإصابة (كسر أو رض)، في حالات الإصابات العظمية، وعند حال الشك بوجود كسر أو شعر، يجب تثبيت العضو المصاب من خلال جبيرة مؤقتة، لحين قيام الطبيب المختص بتشخيص الحالة، وفقاً للمدير الطبي لمشفى جسر الشغور.

يسارع الأهالي والمدنيين من أقارب وجيران لتقديم المساعدة ومحاولة الإنقاذ للمصابين بعد الغارات وعمليات القصف، لحين وصول فرق الدفاع المدني والمنظومات الإسعافية التي تضم فرقا متخصصة ومدربة على إسعاف العالقين تحت الأنقاض.

معاناة يومية صقلت خبرة الكوادر الطبية والإسعافية من أطباء وممرضين ومسعفين، ومنحتهم الخبرة الكافية للتعامل مع معظم حالات الاستهداف، ما يعطي الأولوية لفرق الإنقاذ في حال إمكانية استدعائها، وذلك لما يمكن أن يتسبب به غير المختصين بالإنقاذ من أضرار للمصاب.

لم نعد نخشى على أصابع أطفالنا من الأبواب

«لا أريد أن أنجب الأولاد.. سيُغلق الباب على أصابعهم ذات مرة»، عبارة قالها الشاعر والكاتب السوري «مصعب النميري»، ليتلقفها أحد نشطاء الغوطة متأثرا بما تغير فينا نحن السوريون، وما آل إليه حرصنا من تراجع بما يخص سلامة أطفالنا.

ويقول «بسام خبية» في رده: «يا مصعب، إننا في هذه الديار نُنجب الأولاد، ونرى سقوف الدُور تتهاوى على أجسادهم الغضة، وصراخهم يتسلل الى أسماعنا، من بين شقوق الجدران المائلة، ونحن الذين كنّا قبل سنين، نخشى ما نخشاه على الأولاد أن يغلق الباب على أصابعهم ذات مرة».

وعد البلخي

من فطرة البشر أن يقلقوا حول سلامة أطفالهم من الأذى، لكن ما تعرض له السوريون من قتل وإصابات كان للأطفال نصيبا وافرا منها، دفع بالأهالي إلى التهاون والتساهل في سلامة الأطفال، منطلقين دائما من مقارنات حاضرة في أذهانهم عن مشاهد قتل الأطفال وإصاباتهم في سوريا، في شعور هو أقرب إلى تأنيب الضمير وتحمل المسؤولية بين ما يعيشه أطفالهم من أمان وبين ما يتعرض له أندادهم في مناطق القصف.

يقول «أحمد»:

«كنت أقلق على طفلي ذو السنوات الثلاث من أن ينزل الدرج وحده سابقاً، أما اليوم فأنا أغامر بذلك، وربما بما هو أكبر من ذلك».

منذ ٧ أعوام، لم نعد نحن السوريون نقلق على أطفالنا من أن تُغلق الأبواب على أصابعهم، وإنما تحول خوفنا عليهم لما لا يخطر في بال، ولا نستطيع له رداً لا عنهم ولا عن أنفسنا، وظهرت مخاوف كثيرة لم تكن يوماً بالحسبان.

كل صباح، نستيقظ نحن السوريون، قبل أن نرفع رؤوسنا من على وسائدنا، نمسك أجهزتنا الخلوية، نتابع ما حلّ ببلدنا وأهلنا خلال الساعات الماضية، وأكثر ما يؤلمنا هو رؤية طفل مصاب أو شهيد، أو رؤية أمٍّ أو أبٍ يبكون طفلهم أو طفلتهم، ونتخيّل أنفسنا وأطفالنا مكانهم، ربما هذا ما جعلنا لا نتصرف بنفس الطريقة التي كنا نتصرف بها في السابق، في حال أصيب أطفالنا بوعكة صحية بسيطة.

«علي» من أهالي إدلب قال لزيتون: «في إحدى ليالي الشتاء الباردة، وتحت سيل من الأمطار الغزيرة، هرعت بابني ذو الأشهر الستة إلى الطبيب، لأن حرارته كانت مرتفعة، وكان كثير البكاء، ولكن النتيجة كانت مضحكة، إذ كان سبب بكائه وارتفاع حرارته هو خوف والدته عليه من تعرضه للبرد، ما جعلها تزيد من لباسه، ومرضت أنا لخروجي في هذا الطقس، كان ذلك قبل أكثر من عشرة أعوام، ولو أن هذه الحادثة جرت مؤخراً بعد ما عشناه وما نعيشه، بالتأكيد سأكتفي بإعطائه خافضاً للحرارة ومراقبتها، قبل أخذه للطبيب».

بينما أجرت «ريم» النازحة من الغوطة الشرقية مقارنةً بسيطة بين متابعتها الدقيقة لوجبات أطفالها الغذائية وكمياتها، وخوفها الشديد عند امتناع أحد أطفالها عن تناول وجبته في وقتها، أو إحساسها بتراجع شهية أحدهم قبل حصار الغوطة، وبين ما أصبحت عليه بعد الحصار، مضيفةً: «أتابع أخبار الغوطة باستمرار، وكلما رأيت صورةً أو مشهد أشكر الله على نجاة أطفالي وعلى خروجنا منها، وكثيراً ما تعود بي ذاكرتي لتلك المعاناة التي لا تُنسى، ولا شك بأنها تركت تأثيرها في نفوسنا وعاداتنا سلباً أو إيجاباً».

ولم تتوقف تأثيرات السنوات الماضية عند حدود تراجع اهتمام الأهل بصحة أطفالهم أو سلامة غذائهم، وإنما وصلت أيضاً إلى تراجع الاهتمام بالتعليم والتحصيل العلمي للأبناء بحجة الأوضاع والظروف، والأسوأ منه قبول بعض العائلات بسلوكيات سلبية من قبل أبنائهم مقابل اطمئنانهم على أمنهم وسلامتهم.

في الوقت الذي لا تقبل فيه «علا» بمعدل ٩٩ بالمئة من بناتها، تلاحظ تنازل زوجها عن بضع درجات، مبرراً ذلك بما يعيشه السوريون وأطفالهم من ضغط نفسي ومؤثرات سلبية، وتعتبر جملته الشهيرة «منيح منهن انهن جابوا هالعلامات» ذريعةً لهن لإهمال دراستهن أو التقصير فيها، الأمر الذي ترى أن من شأنه أن يترك فراغاً قد يتم شغله بطريقة ما غير مناسبة.

أما «حنين» فقد تخلّت عن مراجعتها الدورية لمدارس أولادها وبناتها، كما أصبحت تسمح لهم بالغياب المتكرر عن المدرسة، مؤكدةً أن رؤيتهم أمامها بخير هو الأهم والأجدى بالنسبة لها، وأنهم من الممكن أن يتابعوا تحصيلهم العلمي بشكل أفضل في حال تحسنت الأوضاع.

كذلك غامرت عائلة يحيى بتعليمه مقابل بقائه مع أخيه ياسين البالغ من العمر ١٧ عاماً، وأرسلتهما مع خالهما إلى دولة مجاورة خوفاً من تجنيد ياسين، كما غامرت بتربية يحيى من خلال حرمانه من وجودها وتوجيهاتها له في سن المراهقة، الذي يعتبر حرجاً لمن هم في عمره، فكيف بالنسبة له في بلد غريب وبيئة لا يعلم لا هو ولا عائلته عنها شيئاً، وفي ظل انشغال أخيه الأكبر وخاله بعمل يؤمن لهم دخلاً يعيشون منه.

ويختلف حال يحيى عن حال ماجد الذي يعيش مع والده في إحدى الدول الأوروبية، إلا أن وجود والده لم يعطه امتيازات، فقد قبل والده بكل ما صدر أو قد يصدر عنه من تصرفات سلبية، فهو ابنه الوحيد الذي خرج به من هذه الحرب، مؤكداً المثل القائل «رؤيتهم على الدروب أفضل من حسرتهم في القلوب».

أرقام ومشاهد مرعبة للسوريين

كرتيّ بلاستيك، وأجفان صناعية، وطفل يبكي بلا دموع، يصرخ بأعلى صوته «شيلوها من راسي»، كانت لقاء الحفاظ على حياة الطفل «أويس العتقي»، ذو الستة أعوام، الذي خرج لثوانٍ معدودة من قبوٍ بات منزلاً له ولأهالي مدينته حرستا، ليشتري مع والده بعض الطعام والمستلزمات، التي كان ثمنها باهضاً جداً أكثر مما يتخيله عقل خارج سوريا.

أصيب «أويس» في أول أيام العام الحالي إصابةً بليغة في الرأس، جراء القصف الوحشي لقوات النظام والطيران الروسي، اضطر الأطباء على إثرها لتفريغ العينين، وزرع أجفان صناعية لتغطية كرتين من البلاستيك، وضعوهما مكان العينين، في محاولةٍ منهم للحفاظ على حياة «أويس»، لا بغرض التجميل.

وكان السوريون قد ختموا عامهم الماضي ٢٠١٧، بصورةٍ لم تختصر عاماً واحداً فحسب، وإنما تختصر سبع سنوات ماضية عاشوها، ولا يعلمون إلى متى يعيشونها، حيث انتشرت صور السوريين على مواقع التواصل الاجتماعي وهم يغطون أعينهم، وذلك للتعبير عن تضامنهم مع الطفل «كريم عبد الرحمن»، البالغ من العمر شهرين فقط، والذي فقد عينه اليسرى وتعرض لكسر في الجمجمة، بالإضافة لفقدانه لوالدته، وذلك في قصف لقوات النظام في شهر تشرين الثاني الماضي، استهدف مدينته «حمورية» في الغوطة الشرقية.

وفي ٢٢ كانون الثاني الماضي، ضجّت مواقع التواصل الاجتماعي بمقطع مصور لإسعاف طفلة رضيعة، تعرضت للاختناق نتيجة استنشاقها لغاز الكلور السام السام، الذي استهدفت به قوات النظام مدينة دوما في الغوطة الشرقية.

تزامن مع مقطعين آخرين من محافظة إدلب، أحدهما لأبٍ يساعد عناصر الدفاع المدني في انتشال أطفاله من تحت أنقاض منزله المدمر، ليجد طفله الرضيع قد استشهد، والآخر لأبٍ يحمل جثة ابنه المتفحمة، جرّاء استهداف مدينته سراقب بقنابل النابالم الحارق المحرّم دولياً.

كل هذه الصور والمشاهد، ليست إلا جزءاً ضئيلاً جداً مما تعرض له الأطفال السوريون خلال سنوات الحرب، لكنها ربما تعبّر عن حال البقية منهم، ولو أنّ هذه السنوات حملت ما لا يمكن وصفه، فقد وثق مركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان، سقوط نحو ٩ آلاف شهيد في سوريا في العام ٢٠١٧، منهم ١٢٣٨ طفلاً، أي ما نسبته ١٤ بالمئة من عدد الشهداء الكلي، سقط العدد الأكبر منهم في شهري نيسان وتموز الماضيين، بينما حل شهر كانون الأول في المرتبة الأخيرة من حيث عدد الشهداء الأطفال، والذي بلغ ٦٢ شهيد طفل، أي بمعدل استشهاد طفلين يومياً.

ووصلت نسبة الأطفال خلال الشهر الأول من العام الحالي، إلى ١٦ بالمئة من العدد الكلي للشهداء، جلّهم سقط في الغوطة الشرقية بمحافظة ريف دمشق، والتي باتت على حافة المجاعة، وفقاً لتحذيرات الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان الدولية.

إننا في هذه الديار نُنجب الأولاد.. ونرى سقوف الدُور تتهاوى على أجسادهم الغضة

كان رد الناشط «بسام خبية» على الشاعر «مصعب النميري» خير تعبير عما يعيشه السوريون، حيث قال: «يا مصعب، الأولاد في سقبا يولدون تارة من رحم الأمهات، وتارة أخرى من بين ركام الدُور، يخرجون من الأجداث إلى النور، شُعثاً، غُبراً، وعيونهم جاحظة في العدم، وأصوات المطمورين تحت تلال الموت، تصعد إلينا محشرجةً من فوهات الردم، لا يخنقها إلا ضربُ المعاول، وهديرُ المعارك في إدارة المركبات».

«يا مصعب، قبل حينٍ قريب، خرجت أم أمير، تحمل أولادها الجياع إلى السوق، فعادت موشحةً بالدم والبارود، وبين يديها جثّة طفل، كانت تهذي وتتمتم:

«لقد مات ولدي جائعاً.. لقد مات ولدي جائعاً»

بين ربيعي براغ وسوريا والقاسم المشترك في رواية خفة الكائن

في رائعته الروائية «خفة الكائن التي لا تحتمل» يتناول الكاتب ميلان كونديرا الفترة التاريخية التي دخل بها الجيش السوفييتي شوارع العاصمة التشيكوسلوفاكية براغ في آب 1986 لقمع ربيع براغ المطالب بالديمقراطية. الرواية الفلسفية العميقة التي قدمها كونديرا بشكل أقل ما يقال عنه أنه رائع، والتي اهتمت بالنزعات النفسية في الإنسان ومخاوفه إضافة إلى مفاهيم جدلية كالتكرار التاريخي أو ما يسميه الكاتب «العَود الأبدي» وماهية الثقل والخفة وعلاقتهما بالسعادة والحزن، استغل بها الكاتب فترة الاحتلال السوفييتي ليقدم بعداً جديداً للإنسانية والصدق.

ياسمين محمد

في مشهد ليس ببعيد عن الواقع السوري يركض أهالي براغ في الشوارع صارخين «ها هم قادمون» لتظهر الدبابات السوفييتية محطمة الحياة في براغ، ثم تليها لقطات للطائرات والمظاهرات المناهضة لوجودهم، ما يدفع الأهالي إلى الخروج من المدينة رافضين الحياة تحت نير المحتل.

تدور الرواية حول طبيب شاب يدعى توماس يعيش حياة جنسية منفلتة، تربطه بتيريزا وهي فتاة ريفية قصة حب تفضي إلى زواجهما، وبينما يحافظ على علاقاته السابقة إلى جانب علاقته بصديقة مميزة تسمى سابينا، يدور الصراع بين هؤلاء الشخصيات الثلاثة، ومن خلالهما يكشف الكاتب عما يريد قوله عن خبايا النفس البشرية ومعاني الحب والخيانة والرغبة من الانعتاق من الزيف.

عدم الزيف هو ما تحبه سابينا في توماس، وهو ما يجسده في رفضه النوم مع أية امرأة، معبرا عن خشية تورطه مع النساء، فهو يدرك أن النوم سيفضي إلى التعاطف والحب، أي الفخ الذي يتجنبه دائماً.

في حالة تيريزا فان حالة الانفلونزا التي سقطت بها الفتاة أثناء تواجدها في منزله، أجبره على إبقائها ما أوقعه في المحظور من الحب، لكن الألم الذي عاشته من تلمس خياناته لها يأخذ حيزا كبيرا من الرواية وحياتهما.

هذه الرواية تمس كل من يقرأها بشكل أو بآخر هذا إن لم تعريه أمام نفسه، شأن كل الروايات العظيمة، كما تعري حركة التاريخ أمامنا نحن السوريون، فما فعله الاتحاد السوفييتي سابقا بسحقه لربيع براغ تعيده روسيا حاليا في تدمير الثورة السورية، في صورة تجسد ما يريد أن يقوله الكاتب في روايته بمصطلح «العود الأبدي».

في الحوارات الصريحة حد الصدم يدور إحداها حول هوس توماس بتغيير النساء في حياته، ليكشف الكاتب عن سر افتتان البطل بكل أنثى، فالتفاصيل التي تخص كل واحدة منهن هي سر الجذب له، وكل امرأة هي أرض جديدة، وحياة مختلفة، هذه الخفة في العواطف لديه هي ما تكرهها تيريزا التي تؤمن بثقل الحب واستقراره على شخص واحد.

الرواية تحير القارئ في بطلها الخفيف، فمن متهتك بعلاقاته النسائية إلى صلب ثائر، وإصراره على عدم اعتذاره عن مقال كتبه يطلب فيه من الشيوعيين أن يفقؤوا أعينهم على جرائمهم أسوة بأوديب في أسطورته بعدما اكتشف خطاياه، سبب له هذا المقال سحب رخصته بممارسة الطب، ليتحول بعدها إلى ماسح زجاج، ثم ليهرب إلى الريف مع زوجته ويعيشا هناك ما تبقى لهما من حياة.

وكما أعادت الحياة المأساة في سوريا من نزوح وتشرد وظلم جراء ثورتها، تعرض الرواية خروج أهالي براغ من المدينة رافضين بقائهم تحت سلطة المحتل، كما يتابع عناصر الأمن صور المظاهرات والاحتجاجات ليلاحقوا كل من تظاهر وليجبروا من تبقى منهم على توقيع أوراق مذلة في الخضوع للنظام الحاكم.

وعلى المستوى الشخصي تجد تيريزا أن صوراً لعراة لدى الصحافة الغربية، أهم مما صورته من اقتحام الجيش السوفييتي لبراغ وصور الدمار والحرب، وهو ما يتقاطع مع تجاهل العالم لما يجري اليوم في سوريا.

عظمة الرواية تأتي من فهمها العميق للنفس البشرية، فرغم صراع الأطراف فيها إلا أنك عاجز عن التعاطف مع طرف ضد آخر، تدفعك بفضول إلى معرفة تبريرات أخطائه، والاقتناع بها لأنك أنت قد وقعت بتلك الأخطاء ومارستها، كل الأطراف مخطئة كما أنها بذات اللحظة محقة، هذا التضاد الذي يحول الحبيب إلى عدو والعادي إلى استثنائي.

ما بين ربيع براغ وربيع سوريا أحلام واحدة وعدو واحد، وبشر تاقوا لحياة كريمة سحقتها أحذية العسكر، لتبقى عجلة الحياة مستمرة بأدوار ثابتة للضحايا والجلادين في دورة لن تتوقف ما دام الإنسان يتأرجح بين حب السلطة والحرية.

زج الحر في عفرين هو تأجير البندقية للأتراك

عبد المجيد شريف

يتعلل بعض مؤيدي التدخل التركي في عفرين بصور حادثة ٢٨ نيسان ٢٠١٦، حين استعرض مقاتلو البي يو دي قتلى الجيش الحر في شوارع مدينة عفرين بعد اشتباكاتهم في عين دقنة بريف حلب، وهو ما كان فعلاً إجرامياً لا أخلاقياً واستفزازياً يرسخ الكراهية بين مكونات الشعب السوري، ولكن مَنْ مِنَ الأطراف المتحاربة في بلدنا لم يمارس أعمالاً لا أخلاقية؟، والبي يو دي مثل غيرهم من المتطرفين الذين مارسوا التعسف ضد المدنيين وغيرها من الأعمال المشينة.

ومنهم من يرى أنهم حلفاء للنظام، أولاً أنا أشكك أنهم حلفاء للنظام، رغم وجود نوع من التحالف مع قوات النظام، وثانياً لو اعتبرنا أنهم حلفاء للنظام فهم على الأقل توقفوا عن قتال الجيش الحر، ولا خطر من جهتهم على المناطق المحيطة، بينما جيش النظام يشن غاراته على إدلب وينتزع القرى والمدن والنقاط العسكرية ويقصف المدنيين ويهجرهم، فمن الأولى بكتائب الجيش الحر، أن تواجه الخطر الداهم الآتي من شرق إدلب وجنوبها وليس من العدو المستقر الذي لا يهاجمهم ولا يبدو أنه ينوي الهجوم.

نحن نعتقد أنه ما تم من اتفاق روسي تركي يقتضي أن تسلم روسيا مدينة عفرين للأتراك، مقابل قبول تركيا لاحتلال قوات النظام السوري لمطار أبو الظهور، والخوف في أن يكون الاتفاق قد تضمن ما هو أبعد من أبو الظهور.

إن زج الجيش الحر بنفسه في معركة عفرين بدلاً من معركة أبو الظهور، هو تأجير البندقية للأتراك لمحاربة أعداء تركيا دون مصلحة للثورة في تلك المعركة.

ويمكن اعتباره موقف خال من أية أبعاد وطنية، إذ أن عفرين مدينة سورية، لا حق للأتراك فيها، وأن الكرد هم مواطنون سوريون لا يجوز المشاركة في مساندة الأجنبي ضدهم، إضافة إلى الخوف من أن تجرهم تركيا فيما بعد إلى مؤتمر سوتشي أو الاتفاق مع النظام على حكومة موسعة وإنهاء الثورة السورية.

وإذا كانت تركيا تريد ملاحقة مواطنيها المنضوين في حزب البي كي كي الإرهابي، فكان عليها أن ترسل إنذاراً لإدارة المدينة تطالب فيه بتسليمهم إليها أو إخراجهم من عفرين وضبط الحدود، ولكن ما يظهر أن العملية هي غاية وليست وسيلة.

موت بلا أمنية أخيرة

أسعد الأسعد

مرة أخرى يشرب قهوته مع من يحب، يرسمون أحلامهم القادمة بكثير من اللذة، لم يوفروا تفاصيل خطوبتهم، تحدثوا حتى عمن سيدعونهم لحفل الزفاف، عن شكل خواتمهم، وحين اقتربت يده من يدها أيقظه صوت السجان الغليظ.

لم يستطع فتح عينيه فهما متورمتين من حفلة الأمس، نظر يستمد الشجاعة من رفاقه المتكومين حوله، ودعهم بنظرة وتكابر على عظامه الهشة واقفاً مستعدا لملاقاة ما لا بد منه، العيون التي رمقته بإشفاق وحزن، لم تستطع إخفاء خوفها متوسلة أن يخيب ظنها ولو لمرة في نقصان عددهم.

هم يفهمون ما خلف النظرات وما توحي به التهديدات والوعيد، يعرفون ما تم اتخاذه من قرارات في الغرف الأخرى من تصفيات ممنهجة، حجم التعذيب وتكراره إشارة لما هو آت للبعض منهم.

طماش على العينين وصفعات قليلة ليمضي إلى غرف التحقيق التي ألفها من كثرة ما مشى إليها، وحين أوقفوه أمام المحقق قرر في نفسه أن يحرم السجان سلطته في سلب حياته، سبيله الوحيد إلى ذلك أن يتخلى هو عن حياته بأقل كمية للألم،

وإن يكن الموت هو الخلاص فليكن، في ذلك الحين رأى المحقق والجلادين والحراس مجرد دمى، كبر أمام نفسه، تأكد أن ما قام به يستحق ما هو فيه، وضاعة عناصر الأمن وفقدهم لإنسانيتهم دليل دامغ لديه على أحقية ما يجري وما شارك فيه، ورغم القوة التي يبدو بها من أمامه إلا أن الخوف من شبان صغار بعمره يفضحهم.

من الذي يخاف من الآخر أكثر الأن، لم تخشون نظري، من صاحب الحلم، من له الغد، هل ينتظرهم أحد مثلما ينتظره.
بعض الأسئلة التي عاف أن يجيب عليها تلاها توالي الضربات من كل اتجاه، طعم الدم مريح هذه المرة، كل ما يتمناه أن يراهم، كان يرغب أن يضع عيناه أمام عينهم قبل أن يغلقهما، أمنية أخيرة ليحقق تحديه لهم، لكن شعور الغثيان والدوار يدخله إلى الحلم مرة أخرى.

حين هتف بين رفاقه وجابوا شوارع بلدتهم بكل الفرح لم يشعروا أنهم مخطئين، لم يعتدوا على أحد، ولم يرهبوا أحد، كل ما فعلوه أنهم أعدوا لافتاتهم وكتبوا شعاراتهم، وتبادلوا الابتسامات مع أهالي البلدة المتحلقين حولهم، رغم الخوف المنتشر في شوارع البلدة من مآلات المظاهرات إلا أن الطريق لم يكن ذي رجعة، فنصف ثورة موت محقق.

انتشلته رشقة ماء على وجهه، صوت أحدهم يصرخ بغضب عليه، ما زالت الأسئلة تتوالى، لكن قراره كان مريحا له في عدم الرد، لم يكن لديه الرغبة ولا القدرة على الكلام، كان ينتظر ضربة تعيده إلى حيث ينتمي، «علقه على الحائط».

الألم هو الصحو والألم هو أن لا تحلم، كل ما لنا نحن المعتقلون هو الحلم، هو فرصتنا للنجاة وفسحتنا وواحتنا، لكن سكاكين الشبح التي تقطع أطرافك وعظامك، تلك النار التي تحرق كل ما فيك، مخلعة مفاصلك، تجبره بشدة على استجلاب كل من يحب كي يحتمل ما لا يحتمل.

أمه التي لم تعترض على نشاطه في بداية الحراك نظراتها كانت مليئة بالفخر به والخوف عليه، أبوه الذي حاول أن يخفف من اندفاعه مل وصار يرافقه في المظاهرات، أخوه الصغير الذي حمله على أكتافه، أصدقاءه الذين تأمر معهم على حرق صورة الطاغية المعلقة في ساحة الجامعة مثلما تأمروا على تلقين أحد المخبرين درسا على باب بيته بعدما توعدهم وهدد أهاليهم.

طعم القيح في الحلق مر كطعم العطش، صار يعرف كيف يطفأ عطشه، فالينابيع الباردة كلها في رأسه، الذكريات والأحلام المخزنة لديه لن يستطيع السجانون الوصول إليها، وما الشبح لساعات إلا فرصته كي يتمتع بأدق تفاصيلها، ها هم رفاقه في الجامعة يعودون إليه مرحين، أمه التي تقف على باب البيت حين يغادر للتظاهر، طالما سامحته بعد ابتسامته حين كانت تعنفه بسبب علاقته بمن يحب وتكرار تغيبه عن عمله، يستذكر طيبتها وتسامحها عن طيشه ورضاها عنه دون أن تقول.

بسرعة تقف ثلاث سيارات للأمن في ساعة متأخرة من النهار، لتحاصر عناصرها محله في وسط سوق البلدة، وبسرعة وخوف يعتقلونه كما الاختطاف، مسرعين بالخروج من البلدة، فدخولهم كان متوقعا رغم ما عليه من مغامرة خطيرة بالنسبة لهم بعدما سقط خوف الناس منهم.

في مبنى الأمن كان المخبر الذي ضربه مع رفاقه على باب بيته بانتظاره، بكلماته المليئة بالحقد أبلغه بنهايته هذه المرة، فكر لوهلة بالنقاشات التي دارت بينهم حين وصل بهم النقاش عن عجزهم عن قتله رغم امكانيتهم، وتذكر جملة صديقه حين أكد أنهم ليسوا مجرمين أو قتلة.

القهوة يا للقهوة ما أطيبها، والسكر؟ لو حبة فقط، لو سيجارة، حتى المحكومون بالإعدام كانوا ليحصلوا على أمنية أخيرة، لن يتردد في أن يطلب فنجان قهوة مع سيجارة، وسيموت سعيدا حينها، لكن هؤلاء الأوغاد استكثروا عليه أمنيته البسيطة.
توقظه يد السجان مجددا تفك قيوده لا يعلم كم مضى عليه في الحلم لمسة السجان تلسعه، فهو من لحم ودم، يتساءل كيف لهذا المجرم أن يحمل طفله في يده الملوثة بالدم، هل حقا يلاعبه، كيف يمكن لهذا الوحش أن يكون في لحظة ما إنساناً؟.
يسهو متماهيا في فكرة آدمية السجان، ما الفرق بينهما، الخوف ذاته، والسجن ذاته، القذارة والضباط والحيطان والصراخ ذاته، ماذا لو اعتقلوا يوما ابنه أو إخته او أخاه، طرد الفكرة من رأسه فليذهب إلى الجحيم فلو كان انسانا ما رضي أن يصبح جلادا.
للكهرباء استخدامات شيطانية ينتفض القلب كطير فوجئ بالذبح، تطير الصور بعيدا صوت ضربات قلبه يسمعه يدق بقوة، هو على حافة الموت والخلاص، يتمنى لو تستمر الكهرباء بلا انقطاع، لكن الصور تعود إليه ببطء بأقل وضوح فيها فتيات وثكالى وزغاريد وأرز ينثر فوق جنائز وبلدات غاضبة وطرقات تقطع وعيون رفاق دامعة خيالات مجازر وأطفال في وحل الخيام وصوت قذائف وطيارات ثم حياة وهدوء.

قال المعتقلون أنهم حين جروه إلى الممر المظلم الطويل وأجبروهم على رؤية مصيرهم كانت عيناه مفتوحة فيها مسحة حسرة.

أغلى مباراة في تاريخ كرة القدم أمس قيمتها ١,٢ مليار €

حقق فريق ريال مدريد الإسباني فوزاً ثميناً على ضيفه الفرنسي باريس سان جيرمان بنتيجة ٣-١، في مواجهة جمعت بينهما، أمس الأربعاء، في ذهاب دور الـ ١٦ لبطولة دوري أبطال أوروبا لكرة القدم.

كان التقدم أولاً من نصيب باريس سان جيرمان، الذي تمكن من هز شباك مضيفه بهدف أحرزه لاعب الوسط الفرنسي أدريان رابيو في الدقيقة ٣٣، إلا أن أصحاب الأرض أدركوا التعادل قبل نهاية الشوط الأول، بهدف حققه النجم البرتغالي كريستيانو رونالدو من ضربة جزاء.

وفي الشوط الثاني، لقن النادي الملكي ضيفه الفرنسي درساً قاسياً، بعدما أضاف رونالدو الهدف الثاني له ولفريقه في الدقيقة ٨٣، وعزز البرازيلي مارسيلو التقدم بإحرازه الهدف الثالث في الدقيقة ٨٦، ليقضي على أحلام الضيوف في تحقيق التعادل على أرض البرنابيو.

وبعد هذا الفوز الثمين للملكي في مباراة الذهاب، يتعين على باريس سان جيرمان الفوز بهدفين نظيفين، أو بفارق أكثر من هدفين، في مباراة الإياب على ملعبه يوم ٦ آذار القادم.

زيدان وإيمري تفاصيل الحدث

صراع تكتيكي خاضه كل من زين الدين زيدان المدير الفني لنادي ريال مدريد ونظيره أوناي إيمري مدرب باريس سان جيرمان.

بداية خاض أوناي إيمري مباراة ريال مدريد بتشكيل متوازن يعتمد على غلق المساحات أمام النادي الملكي فعانى رونالدو وبنزيما في الدقائق الأولى من المباراة خاصة في ظل فقدان القدرة على التحرك بسبب المسافات الضيقة بين خطوط باريس سان جيرمان.

وفي المقابل حاول زيدان دخول لقاء باريس ولديه الكثير من الأوراق على مقاعد البدلاء مثل غاريث بيل وفاسكيز وأسينسيو كي يتمكن من الاستفادة من السرعات الكبيرة التي يتميزون بها إذا ما تعرض دفاع أبناء الأمراء للإرهاق.

تعرض زيدان لمفاجأة عن طريق رابيو الذي سجل هدفاً في وقت كان قاتلاً في الشوط الأول ولكن الخطأ الأكبر كان في عدم الاستفادة من تلك الانطلاقة والانقضاض على النادي الملكي الذي كان في أضعف حالاته.

حرص إيمري على الضغط على الظهير الأيمن البديل ناتشو الذي لعب بدلاً من الموقوف كارفاخال من خلال نيمار الذي مر منه في أكثر من مناسبة ولكن الطمع في تسديد الكرات على المرمى حرم باريس من عدة أهداف.

ولم يقم إيمري بتبديل تكتيكي سوى الدفع بموني‌يه مكان كافاني وإن لم يكن المهاجم الاوروغوياني مصاباً فسيكون قد أرتكب خطأ عمره بذلك التغيير.

كان من الطبيعي أن يستغل زيدان لجوء نجوم باريس إلى اللعب بفردية من خلال الضغط أكثر بالأوراق البديلة التي بدأت في صناعة الفارق لصالح ريال مدريد ولكن المفاجأة جاءت من الحارس البرزايلي ألفونسو أريولا.

فقد أريولا السيطرة على الكرة في أكثر من مناسبة ليستغل كريستيانو خطأ الحارس في تشتيتها ليسجل هدف التقدم لريال مدريد وهنا ظهر الدور النفسي المفقود لإيمري حيث لم يحاول الحفاظ على النتيجة بهذه الصورة على أمل التعديل في الإياب بملعب الأمراء.

ونجح مارسيلو في تسديد كرة داخل منطقة الجزاء دون أدنى رقابة من دفاع باريس الذي يتحمل بعض المسؤولية ليفقد أريولا السيطرة عليها أيضاً رغم أن مارسيلو سددها في نفس الزاوية التي يقف فيها ليحرز للنادي الملكي الهدف الثالث.

لم يكن لدى باريس أي ثقافة للعودة من الهزيمة سريعاً مثلما حدث في لقاء بايرن ميونيخ بملعب أليانز أرينا بدور المجموعات بالنسخة الحالية من دوري أبطال أوروبا، وهنا لم يكن للمدرب أي دور فيها حيث اعتاد الفريق على الفوز كثيراً بالدوري الفرنسي الذي يشهد فارقاً شاسعاً بين باريس من جانب وجميع فريق البطولة من جانب آخر.

في الدقيقة ٦٦، اتخذ أوناي إيمري قراراً، فأخرج رأس الحربة الوحيد الذي يملكه في التشكيلة إدينسون كافاني، وقرر أن يضع كيليان مبابي في مركز رأس الحربة، وجعل داني ألفيش في مركز الجناح. هنا تحديداً افتقد باريس سان جيرمان عدة أمور دفعة واحدة.

لم يعد هناك رأس حربة يربك دفاعات ريال مدريد..ولم يعد هناك جناح أيمن يزعج مارسيلو

اعتمد باريس سان جيرمان على هجوم «اللاتوازن»، والتركيز على نيمار مع كل مرتدة أفقد الفريق الجهة اليمنى، ودخول مبابي إلى مركز رأس الحربة منح مارسيلو حرية كاملة نتج عنها الهدف الثالث، لكن قبل كل هذا وفي الدقيقة ٧٩ وتحديداً بعد دقيقتين من تبديل إيمري أخرج زيدان الأرنب من القبعة.

في البداية لم يكتف زيدان بصنع المفاجأة وإدخال بيل في مكان بنزيمة الذي لم يحضر إلى الملعب، لكنه ومع ازدياد عقم باريس سان جيرمان في وسط الملعب بوجود لو سيلسو، قرر إدخال أحد أفضل اللاعبين الشبان حالياً في العالم وهو ماركو أسينسيو. وبهذا القرار قرر زيدان استغلال كل شبر على الطرف خلف دفاعات باريس سان جيرمان، هناك صنع أسينسيو هدفين، وطالما أن رونالدو سيكون موجوداً في التوقيت والزمان المناسبين في منطقة الجزاء، فإن الأهداف ستأتي حتى لو كانت بالفخذ.

زيدان الذي وصل متأخراً

حين توجه المدافع في وجه زيدان بسبب بداية خاطئة، حتى وإن اعترفنا أنها لن تبرر بالنهاية السعيدة، ولكن الإشادة بالتعديلات أمر واجب، ووضع الأمور في موضعها الصحيح بلا مبالغة هو أمر تفرضه كل البديهيات، وبالعودة إلى اللقاء سنجد أن إيمري قرر أن يريح قلبي دفاع ريال مدريد من وجود كافاني ويدفع بموني‌يه، حينها تقدم ألفيش كجناح ودخل مبابي إلى العمق، الأمر الذي خفف من الضغط على مارسيلو الذي أتعبه مبابي، وكذلك قلل من حدة الضغوطات على راموس وفاران وقبلهما لاعبي خط الوسط.

زيدان كان ذكياً هنا حين رأى في عين إيمري الرضا بنتيجة التعادل، قرر سحب بنزيما والدفع ببيل، سحب إيسكو و أدخل فاسكيز فأكمل رحلته مع المنطقي والمتوقع، قبل أن تأتي لمسة قلبت السيناريو رأساً على عقب وهي سحب كاسيميرو والدفع بماركو أسينسيو، حينها تحول شكل ريال مدريد تماماً بخطة هجومية بحتة بلا لاعب ارتكاز، وبجناحين ومهاجم، ووجود السرعات الثلاثة التي افتقدها منذ البداية، هنا امتلك الريال كل شيء، الكرة والسرعات والتفوق التكتيكي والبدني والأرض والجمهور وحتى الحظ، وهنا كان يجب للنتيجة أن تتسع إلى ثلاثة أهداف.

قرار زيدان بسحب كاسيميرو كان يحتمل الخطر لو قرر إيمري الضغط وتحويل اللعب إلى شكل هجومي، ولكن مخاطرة زيدان كانت محسوبة، كان من الممكن حينها أن يتراجع أسينسيو وينضم إلى كروس ومودريتش في الوسط، ويعود بيل وفاسكيز بسرعتهما للعب دور الظهيرين الأماميين.

العبقرية في قرار زيدان كانت في كونه محسوباً في جميع الحالات، كما كانت أيضاً في فاعليته التي أتت بشكل أسرع من المتوقع حيث شكلت أول لمستين لأسينسيو هدفين، وضغط على دفاعات باريس المتعبة، وإمكانية تنويع اللعب بين السرعة و تدوير الكرة مما قتل آخر ما تبقى من باريس.

رونالدو: ريال مدريد يحب شعار الأبطال

عبر اللاعب كريستيانو رونالدو مهاجم ونجم النادي الملكي عن سعادته الكبيرة بهذا الانتصار، بعد تسجيله هدفين من ثلاثية الميرينغي رفعا رصيد أهدافه مع الفريق في البطولة إلى ١٠١ هدفاً، لكنه أكد أن التأهل لم يحسم حتى الآن وعليهم تسجيل الأهداف في مباراة الإياب من أجل التأهل.

وافتتح رونالدو تصريحاته للصحفيين بعد المباراة قائلاً «لقد بدأنا المباراة بشكل جيد، ثم استقبلنا هدفاً بشكل مفاجئ. ولكن هذا هو دوري أبطال أوروبا، وريال مدريد لديه الخبرة».

ثم أكمل اللاعب حديثه قائلاً «المباريات تستمر ٩٠ دقيقة، وفي ملعبنا، أردنا أن نلعب مباراة جيدة، لدينا ميزة جيدة لمباراة الإياب بفضل هذين الهدفين المتأخرين».

وعن فريق باريس، قال رونالدو «كنا نعرف أن فريق باريس سان جيرمان خطير جداً مع المهاجمين الذين يمتلكونهم، كنا نعرف أيضاً أننا بحاجة إلى الضغط عليهم من أجل الحصول على الكرة سريعاً، في الشوط الثاني انتظرنا قليلاً، لعبنا أفضل، وحصلنا على مزيد من الفرص».

أما بالنسبة لجماهير الميرينغي التي تغنت بفريقها وشجعته طوال الـ ٩٠ دقيقة، فقال صاروخ ماديرا عنها «المشجعون ساعدونا كثيراً وشعرنا بدفء تشجيعهم. إنه يجب أن يكون بنفس الطريقة دائماً».

فيما تحدث الدون عن هدف صديقه مارسيلو الثالث للفريق، حيث قال «هدف مارسيلو كان مهماً جداً، لقد لعب مباراة جيدة واستحق ذلك، عندما يتم تسجيل الأهداف ويفوز فريقك، يكون شيء خاص جداً، اليوم هذا بدأ ونجحت في تسجيل هدفين».

واختتم اللاعب صاحب الـ٣٣ عاماً كلماته بالحديث عن حسم التأهل إلى ربع النهائي، قائلاً «هذه المواجهة لم تنتهي بعد، علينا أن نذهب إلى باريس للفوز، تسجيل الأهداف، الهدوء والتأهل للمرحلة القادمة».

يذكر أن مباراة الإياب سوف تقام على ملعب حديقة الأمراء يوم الثلاثاء ٦ آذار القادم من أجل حسم التأهل إلى الدور ربع النهائي من المسابقة.

لم يخسر باريس بعد لكن صانع الـ«ريمونتادا» الشهيرة والذي اعتمد عليه باريس بالكامل بدا تائهاً في البرنابيو، صنع هدفاً لكنه كان أقل حسماً أمام المرمى.

تراه من يكون؟

محمد بتش مسعود

كان مترنّحاً في مشيته، لقد كسته صفرة الموت لسنين خلت، لكنّه مازال حيّا يرزق، في يده عصا خشبية لفّها بقطعة قماش وخيوط، كان الصبية يشاكسونه ويستفزّونه كثيرا، لكن لم يقترب منه أحد خوفاً منه.

كوخٌ تداعت لبناته، وتطاير جزء من سقفه، كان دكّانا فيما مضى، كثيراً ما كان يأوي إليه الرجل ذو العصا الخشبية هربا من ألم البرد، يعلم أهل البلدة الصغيرة أنّه أبكم فلا أحد سمعه يتكلّم، منذ سنوات تعرّض لحادث سير أفقده بعضاً من توازنه وعقله.

ذات صباح بارد في الطريق إلى المدرسة صادفه الأطفال قادماً في الاتجاه المعاكس، جميعهم تسمّروا في أماكنهم خوفا منه، رمقهم بنظرة خاطفة وكأنّه يتحاشاهم وألقى حبّات من الحلوى لهم ومرّ مهرولاً، لم يجرؤ أيّ منهم على التقاطها وأطلق الصبية للريح سيقانهم.
لاح فجر هذا اليوم بميلاد فصل الشتاء القارس، قال الحكواتي بصوت رخيم وهو يسعل ويسعل، اعذروني يا أحبّتي، لقد ألمّت بي حمّى أتعبتني، وأستند معتدلاً في جلسته ورائحة السجائر تملأ المقهى.

يقسم أحدهم أنّه سمع ذلك الأبكم يلقي عليه السلام ذات مرّة، استهزأ به الجميع وقيل له مستحيل، كيف لأبكم أن يتكلّم؟ لذا قرّر أن يتأكّد من ذلك بنفسه، وحين ذهب إلى كوخه ذات ليلة آخذاً له بعض الطعام، فوجئ أن الكوخ ليس له باب، في حان كان الرجل ذو العصا ملقى على الأرض، وقد أطبق ذراعيه على رأسه وأثنى ركبتيه، لكنّه لم يتحرّك، تحسّس قلبه، حينها تبيّن أنّه قد مات.

قال شيخ البلدة بعد دُفن الرجل، وجدنا هذه الكرّاسة في جيبه وقد كتب في كلّ صفحاتها إنّه قادم، إنّه قادم، ويسعل الحكواتي مرّة أخرى، وأردف مكملاً حديثه، تساءل الجميع عن هذا القادم، ربّما الفرح، ربّما الجوع، اللّه وحده يعلم ما كان يقصده الرّجل، حينها كنتُ أرمق ساعة الحائط.

لقد تأخّر الوقت، مشيتُ عائداً إلى البيت وقد أرخى القمر نوره على البسيطة وفي نفسي ألف سؤال وسؤال، تراه من يكون؟.

SNP
زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع